الوسواس في مناطق حياة الانسان

<"xml encoding="UTF-8?>

يطلق علماء النفس على مرض الوسواس مصطلح «العصاب القهري» او «الاضطراب الوسواسي الجبري». وقد وضع فرويد اول وصف للعصاب القهري في كتابه «مقدمة عامة للتحليل النفسي» عام 1917م، بقوله: «ينشغل عقل المريض بافكار غير سارة، ويشعر باندفاعات تبدو غريبة بالنسبة اليه، وانه مدفوع ليؤدي اعمالا لا تسره، وليس لديه القدرة على الامتناع عنها، وقد لا يكون للافكار والوساوس معنى في ذاتها، لكنها مع ذلك، افكار مثابرة ومسيطرة على عقل المريض دائما».وقدم العالم النفسي «وولمان» سنة 1973م وصفا لهذا المرض قال فيه: «يتميز هذا المرض باقتحام مثابر لتفكير غير مرغوب، او اندفاعات، او افعال، لا يستطيع المريض ايقافها، والتفكير قد ينصب على كلمة مفردة او فكرة، او سلسلة من الافكار يدرك المريض انها عمل احمق، وتتراوح الافكار بين حركات بسيطة، وطقوس معقدة، مثل: تكرار غسل اليدين، وغالبا ما يظهر القلق والضيق اذا ما امتنع المريض عن اكمال طقوسه القهرية، او اذا اهتم بكونه غيرقادر على التحكم فيها».

ويتمظهر هذا المرض باشكال والوان مختلفة عند المصابين به، فبعضهم يعاني الحاح هواجس وافكارا غريبة على ذهنه، كشعوره بانه قد يرتكب جرما معينا، او يصاب بحادث معين، والبعض يصاب بحالة من الوسواس في امور النظافة والوقاية الصحية، كتكرار غسل الجسم او اليدين او الاواني التي يستخدمها لتجنب القذارة والجراثيم، وهناك من يبتلى بالتشكيك واساءة الظن في تصرفات المحيطين به، فيفسر اي كلمة او حركة من الآخرين بشكل سلبي خاطىء، وكأنها ضده او تستهدفه.وتقدر نسبة المصابين بمرض الاضطراب الوسواسي الجبري في المجتمعات البشرية بحدود 2% قياسا على احصائيات المجتمع الامريكي، وهذه النسبة معناها على المستوى الرقمي في الولايات المتحدة 490 الف مريض يعانون العصاب الوسواسي تقريبا.هناك افكار يقتنع بها الانسان ويقبلها بوعيه وعقله، وهناك رغبات تنطلق من شهوات الانسان وعواطفه، اما الوسواس فهو خواطر شاذة يدرك المصاب بها انها خاطئة لا تستند الى اساس، كما يشعر بثقل وطأتها عليه، فهو لا يرغبها ولا يحبها، ويبدي التذمر والتضجر من معاناته منها.فالوسواسي يدرك ان لا معنى لافعاله، وان سلوكياته لا عقلانية ولا منطقية، الا انه يشعر بالعجز عن منع نفسه من الانخراط في هذه السلوكيات نظرا لنزوعاته غير الخاضعة لسيطرته.

ويرى بعض علماء النفس: ان عددا قليلا جدا من المرضى الذين لا ينظرون الى سلوكياتهم كأمور لا معنى لها او غير منطقية، بل يعتقدون ان لديهم السبب الكافي لما يبدونه من اهتمام في سلوكياتهم، كما ان طقوسهم الجبرية ستمنع من تعريضهم لنتائج كارثية حسب معتقدهم.فالوسواس لا يعتمد على اساس فكري منطقي، ولا

ينبثق من رغبة نفسية، وانما هو حالة مرضية تبدأ بخاطر يقتحم شاشة نفس الانسان، فاذا ضعفت ارادة الانسان عن طرده منذ البداية، وعدم الاستجابة له والتفاعل معه، فانه ينمو ويترعرع ويتمكن تدريجيا من السيطرة على مشاعر الانسان وتوجيه سلوكياته.

ونتيجة لادراك الوسواسي لشذوذ وضعه وحالته، فانه لا يحبذ اطلاع الآخرين عليه، وقد يتخفى في ممارساته وطقوسه الوسواسية، ولا يعترف بها بسهولة، حتى للقريبين منه.

تظهر جرثومة الوسواس وتتكاثر غالبا في مناطق اهتمامات الانسان، والامور التي يحرص عليها، ولان الانسان المتدين يهمه الالتزام بالاحكام والقضايا الشرعية، ويحرص على اداء وظائفه وواجباته الدينية فانه قد يصاب بهذا الفيروس في هذه المنطقة. ونجد بالفعل ان بعض المتدينين يصاب بالوسواس في المجال الديني، ولعله من اخطر مجالات الاصابة بهذا المرض.فالقلق الذي يعانيه الوسواسي في امور الدين اشد مما يكابده في المجالات الاخرى، لعمق المشاعر الدينية، وارتباط قضايا الالتزام الديني بالمستقبل الاخروي، وما يترتب على الاخلال بها من حساب وعقاب عند الله تعالى مما يجعله اكثر قلقا واضطرابا. وقد يؤدي الوسواس الديني الى رد فعل عند صاحبه تجاه الدين كما تنقل قصص عن اشخاص تركوا الصلاة والتدين، بعد فترة من معاناة الوسوسة فيها.من ناحية اخرى فان الوسوسة في الامور الدينية، تنفر المحيطين بالوسواسي والمطلعين على اوضاعه من الدين، بسبب النموذج المشوه الذي يقدمه لهم، ولخوفهم من تكرار تجربته في حياتهم. لذا نجد النصوص والتعاليم الدينية تولي اهتماما لمكافحة هذا المرض الخبيث، وتحذر من الاصابة به، وتضخ المفاهيم والنصائح الوقائية منه.

اهم ما يحرص عليه المتدين سلامة عقيدته وحسن ايمانه، لان ذلك هو اصل الدين واساسه. ويحصل في بعض الحالات ان تمر على ذهنه بعض التساؤلات والتشكيكات في قضايا العقيدة والايمان، وهي اذا كانت على شكل استفهام يبحث عن اجابة، فهذا ليس سيئا لان ذلك سيدفعه للتفكير والبحث، مما يوصله للمعرفة وثبات العقيدة. لكن المشكلة هي اقتحام هذه التشكيكات للنفس، دون تجاوب عقلي معها، لانها لا تنطلق من حاجة معرفية، ولا نقص معلوماتي، لايمان الانسان عقليا وفطريا بمعتقداته.

وهنا تكون معاناة هذا الانسان، فهو يؤمن بعقيدة ثابتة، ويحرص على التمسك بها، لكن خواطر مناقضة تهجم على نفسه وذهنه، فيرعبه ويقلقه حدوثها عنده، ويخشى من اثار ونتائج تلك الخواطر التشكيكية على ايمانه وارتباطه بدينه وربه.ويعالج الاسلام هذه الحالة المرضية بتطمين المصاب بها، انها لا تؤثر على دينه، وان عليه الا يهتم ولا يبالي بها، وبذلك تتلاشى تدريجيا حتى ينعدم وجودها.

روت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله انه قال: «ان احدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟ فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله، فان ذلك يذهب عنه»1.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله عن الرجل يجد الشيىء لو خر من السماء فتخطفه الطير كان احب اليه من ان يتكلم به؟ قال : «ذاك محض الايمان» او «صريح الايمان »2.3

---

1. -كنز العمال ـ حديث 1230
2. - المصدر السابق ـ حديث 1709
3. الموقع الرسمي لسماحة الشيخ حسن الصفار (حفظه الله)، و المقال منشور في صحيفة اليوم 25 / 12 / 2002م - 1:00 م، العدد 10785.